الأوامر والمنشورات ثنائية اللغة
زمن الحملة الفرنسية

أ. د. مديحة دوس

تعد فترة الحملة الفرنسية على مصر من الفترات الثرية بالوثائق التى تحمل لنا مادة هامة لدراسة فترة الاحتلال الفرنسى من نواحيها التاريخية والحضارية بشكل عام. فاعتمد تأريخ هذه الفترة على مصادر وثائقية مكتوبة باللغتين، معظمها بالفرنسية وبنسبة أقل بالعربية. ولا شك أن الكتابات عديدة ومتنوعة منها المذكرات والمراسلات والمكاتبات الإدارية المختلقة. فبالنسبة للمصادر الفرنسية فقد صدرت عن رجال الجيش من الرتب المختلفة، تبادلوا فيها المعلومات والآراء وقدموا التقارير حول مجرى الأحداث العسكرية وما أحاط بالاحتلال الفرنسى من ظروف وأحوال.

تمثل بعض هذه الكتابات فى مراسلات، معظمها ذات طبيعة رسمية وبعضها خطابات تبادلها الجنود مع أفراد عائلتهم، إلى جانب التقارير والبيانات والأوامر الموجهة إلى الشعب المصرى بمختلف فئاته، ذلك عن الجانب الفرنسي؛ أما عن الجانب المصرى، فهناك أيضاً من الكتابات ما استخدم فى دراسة الفترة فى جوانبها المختلفة: فمن الوثائق الهامة الخطابات التى تبادلها مراد بك مع الجنرال دانزيلو Donzeleau [1]، التى كشفت عن حقيقة دور الأمير المملوكى فى جنوب مصر، وأوضح طبيعة العلاقات المعقدة بين الجيش الفرنسى والمقاومة لهذا الاحتلال فى

الصعيد. وهناك من الوثائق تلك التى صدرت باللغتين الفرنسية والعربية، أى النص الأساسى وترجمته. وكانت الترجمة تتم ليتحقق التواصل بين الطرفين، فهناك البيانات والأوامر التى كانت تصدرها القيادة السياسية والعسكرية والتى كان يقوم المترجمون بنقلها لتصل إلى المصريين من عامة الناس أو من بعض الفئات مثل عمد وشيوخ البلاد؛ وكذلك تترجم الخطابات بأنواعها المختلفة من الشكاوى والالتماسات التى كان يصيغها المصريون لتوصيلها إلى المحتل الفرنسى. وتظهر أهمية هذه النصوص لدراسة اللغة والخطاب، فمن الناحية اللغوية تكمن الأهمية أساساً فى المستوى اللغوى الذى نجده فى الجزء المصاغ بالعربية كما سأحاول توضيحه، أما على مستوى دراسة الخطاب، فمن الأهمية ملاحظة الفروق التى قد تظهر بين الأصل وترجمته لما تكشف عنه هذه الفروق من أهداف سياسية ضمنية، سأتناول فى هذه الدراسة الجانب اللغوى فقط تاركة لدراسة أخرى مسألة تحليل الخطاب.

* * *

منذ اليوم الأول لوصول الأسطول الفرنسى لجيش الاحتلال إلى بر مصر فى يوليو 1798 بدأت الإدارة الفرنسية تصدر بياناتها وأوامرها بشكل منتظم وبخصوص كل ما كان يحدث فى القاهرة أو فى أقاليم مصر بشكل عام أثناء السنوات الثلاث للاحتلال الفرنسى لمصر. فالبيان الأول هو البيان الشهير الذى أصدره بونابرت وترجمه فينتور دى بارادى Venture de Paradis يوم وصول الأسطول الفرنسى إلى شواطئ الإسكندرية معلناً فيه الأهداف المزعومة للحملة من الرغبة فى انتشال مصر من حكم المماليك الذين هددوا تجارتهم كما جاء فى نص البيان: "يتسلطوا فى البلاد المصرية يتعاملوا بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية"[2]... إلى آخر ما جاء فى هذا البيان الشهير والذى تلته العشرات من البيانات والأوامر المصاغة باللغتين الفرنسية والعربية. ومن نماذج هذه الكتابات بيان صدر لتكذيب إشاعة انتشرت فى البلاد عن وصول جيش من القوات العثمانية

إلى بر مصر وجهه الجنرال فريان Friant إلى شيوخ البلاد والبنادر[3]، أوخطاب موجه من الجنرال منوMenou عندما كان يشغل منصب حاكم رشيد إلى ديوان تجار المدينة ، إلى جانب بيانات تحمل أوامر إلى سكان مدينة بعينها تكلفهم بمهام معينة مثل تنظيف الشوارع أو كنسها، والتهديد بالعقاب ودفع الغرامة لمن لم يفعل، والبيانات والأوامر التى تهدف إلى تنظيم العمل فى ظروف الاحتلال مثل إحلال صرافين وقبانية جدد، وتحديد عددهم، إلى جانب الشروط الجديدة التى يوجب استيفاؤها إلى آخر ذلك. وكانت هذه البيانات والأوامر تصاغ بالفرنسية ثم يتم ترجمتها إلى العربية بواسطة المترجمين المعينين للعمل مع الإدارة الفرنسية.

وتحاول هذه الورقة تقديم بعض الملاحظات حول هذه النصوص المزدوجة أو الثنائية اللغة، وتقوم الملاحظات حول محورين، الأول فى وصف وتحليل الأشكال اللغوية للعربية الممثلة فى تلك النصوص، ثم فى المحور الثانى بعض الملاحظات حول المترجمين الذين صاغوا هذه الأوامر والبيانات إلى العربية وكذلك وضع اللغة الوسيطة فى هذه الفترة. ومن الجدير بالاهتمام أن هؤلاء المترجمين ترجع أصولهم إلى رافدين، رافد فرنسى (من المستشرقين)، ثم رافد مكون من أفراد من سكان مصر الأصليين من الشوام أساساً. حاولت تحليل ماهية الدور الذى لعبه هؤلاء المترجمون على المستوى الثقافى إلى جانب المستوى اللغوى.

يقوم المحور الأول على دراسة لغة البيانات والأوامر، ورصد أهم السمات اللغوية للغة العربية التى تظهر فى هذه النصوص. لم تهتم الورقة بجانب اللغة الفرنسية، ويكفى الإشارة إلى أن فرنسية هذه النصوص قريبة من المعيار الصحيح المقنن لتلك الفترة، وليست بها سمات مميزة من الجانب اللغوى، وإن كانت لا تخلو من خصائص معينة من حيث الأسلوب، على أن ذلك ليس محل دراسة هذا البحث.

تمثل هذه النصوص نموذجا من اللغة التى اصطلح المتخصصون بتسميتها بـ "اللغة العربية الوسيطة" أو "المتعددة الطبقات" إشارة إلى كونها تحتوى على جوانب

من الفصحى الصحيحة أو الخاضعة للمعايير المضبوطة، وكذلك جوانب من الفصحى الخاطئة أو المبتعدة عن المعيار الصحيح، إلى جانب عبارات وتركيبات من العامية. يطلق على النصوص التى تُظهر هذا المزج بين المستويات مصطلح اللغة الوسيطة وذلك بصرف النظر عن الفترة التى كتبت فيها، فتصنف من العربية الوسيطة كذلك الكتابة الممثلة فى الرسائل المتبادلة[4] بين أفراد عاديين من المجتمع المصرى فى العصور الأولى للوجود العربى فى مصر. أى أن العربية الوسيطة هى وسيلة الاتصال الكتابى لأفراد عاديين من المجتمع لا تمثل الكتابة بالنسبة لهم جزء من مهنهم فيستخدمون لغة بسيطة لا تخلو من الأخطاء وفقاً لمعايير اللغة الصحيحة، وتقترب من الأسلوب الشفاهى فى بعض الأحيان.

وهناك نصوص أخرى كثيرة من نفس فترة الحملة ظهر فيها هذا النموذج اللغوى. فنجده فى مراسلات الأمير مراد بك التى أشرت إليها من قبل، وكذلك فى بعض الحوليات التى أرخت لنهاية القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر، مثل حولية القينلى المعروفة باسم وقائع مصر القاهرة[5] لمصطفى إبراهيم المداح القينلى، وكتاب الدرة المصانة[6] للأمير أحمد الدمرداشى. ومن الجدير بالإشارة أن عبد الله النديم كان رافضاً لهذا النموذج اللغوى ناقداً له؛ مفضلا استخدام "العامية" بدلاً منه. وكتب نديم، فى عدد من مجلة "الأستاذ "[7] التى كان يصدرها ينتقد هذه اللغة المليئة بالأخطاء، وينسب هذه الكتابات التى تحتوى على "عبارات واصطلاحات مستهجنة"، إلى تأثير اللغة التركية، وعلل ظاهرة انتشار الكتابات من هذا النوع باستخدام اللغة التركية فى الإدارة المصرية لفترات طويلة قبل إنشاء المدارس فى عصر محمد على.

وكان لوجود بعض سمات العامية فى هذه النصوص سبباً فى اعتبارها تنتمى إلى العامية أواللغة "الدارجة"، على الرغم من الفروق الكبيرة التى توجد بين الوسيطة والدارجة. فبينما العامية هى لغة، أو وسيلة اتصال عفوى، نسقى، يكون النموذج الوسيط مكونا من سمات متفرقة تنتمى إلى مستويات متعددة: فالعامية لغة منطوقة،

منظمة تتبع لنسق محدد فى الأصوات، والمفردات، والتراكيب، على عكس النموذج الوسيط الذى يتبع نظم مختلفة، ففى بعض المواقع نجد الصيغة تطابق قواعد الفصحى أو تقترب منها، وفى مواضع أخرى تكون العامية هى السائدة، وذلك بشكل غير متوقع أو منظم. فالنتوقف عند نموذج من هذه الكتابات من كتاب "الدرة المصانة" لنلاحظ هذا التأرجح بين الفصحى والعامية فى استخدام أدوات الاستفهام فى العبارات الآتية من النص: "قال القاضى لماذا؟"[8]، ثم "أنتم إيش؟"، وفى نفس النص تتأرجح صيغ مختلفة فى التعبير عن النفى، فتارة تظهر الصيغة العامية، وتارة تظهر فى مثل: "أنا ما أطلعشى إلا بفلوس"، وتارة يستخدم الكاتب الصيغة الفصحى وإن كانت فى غير موضعها الصحيح: "لأن يومها لم فى مصر سنجق"[9].

اختلف الباحثون حول العوامل التى أدت إلى نشأة هذا المستوى اللغوى، ففى البداية نسب هذا التبدل أو التحول بين المستويات إلى عدم إتقان الكاتب قواعد الفصحى؛ أى أن الكاتب كان يُفترض أنه غير متحكم فى كتابة الفصحى، ولهذا السبب يأتى إنتاجه ركيكاً أو وسيطاً، ولكن اكتشف الباحثون أن كثيراً ممن كانوا يكتبون نصوصا على النموذج الوسيط كانوا أيضاً قد كتبوا أو ألفوا بالفصحى الصحيحة[10]، مما يعنى أن الكتابة بهذا الأسلوب ناتج فى مواضع كثيرة من اختيار حر متعمد، حتى يأتى الخطاب بسيطا سلسا بعيدا عن التفاصح الزائد. وبصرف النظر عن كون الكاتب يتقن أو لا يتقن الفصحى فيظل هذا النموذج الأسلوبى المعروف "باللغة الوسيطة" مستخدماً من أفراد مختلفين، ينتمى البعض منهم إلى فئة المتعلمين والبعض الآخر إلى أنصاف المتعلمين semi lettrés، من أمثلة ذلك كتابة مصطفى إبراهيم القينلى الذى أشرنا إليه من قبل، والذى كان يشغل منصبا بسيطا فى إحدى الفرق العسكرية العثمانية مما سمح له بمتابعة الأحداث ثم روايتها دون أن تكون الكتابة مهنته.

أما عن أهمية هذا النموذج أو المستوى اللغوى فيمكن تلخيصه فى الآتى: يمكن

اعتبار نصوص النموذج الوسيط الشكل الكتابى المتبع فى الكتابات العادية التى تقع بين النصوص الأدبية والرسمية من جانب، والكتابات الشعبية والعامية من جانب آخر، إنه المستوى المتوسط الذى يمكن تشبيهه "باللغة الوسطى" المنطوقة اليوم فى وسائل الإعلام المختلفة وفى بعض المنتديات الثقافية، مثل الندوات السياسية والثقافية... إلخ. ففى هذه المناسبات لا تستخدم الفصحى الخالصة ولا العامية بل مستوى بينى، اعتدنا سماعه وممارسته، وبدأ يظهر أيضاً فى الكتابة الصحفية وفى وسائل الاتصال الإلكترونى، حيث نجد الأسلوب يجمع ما بين تركيبات من كلا المستويين الفصيح والعامى، ربما كان نموذج "العربية الوسيطة" هو ما يعادل اليوم (من حيث الوظيفة اللغوية) "العربية المعاصرة" أو "الفصحى الحديثة" لعصور مختلفة حتى عصر النهضة فى القرن التاسع عشر حين بدأ التقنين اللغوى يلفظ هذا الشكل الوسيط وينبذه.

أما عن بعض سمات لغة الأوامر والبيانات فيمكن تلخيصها فى بعض السمات الإملائية، ثم الصرفية والنحوية (أو الأخطاء إذا أردنا اتباع التسمية الشائعة أو التى يستخدمها غير المتخصصين).

الإملاء:

- كتابة الألف المقصورة فى صورة ألف كما يرد فى الأمثلة الآتية: "يرا، امتضا".
- فى معظم الحالات لا وجود للهمزة: "دايماً، أعدايهم، وضايفهم".
- الخلط بين التاء والتاء المربوطة: "مراكب حرب فرنساوية وردت بثغر رشيد".

بعض السمات الصوتية:

- تحول الأصوات الأسنانية [11] dental إلى أصوات لثوية[12] alveolar : "ينضف، تنضيف، وضايفهم، ياخد".
- إلى جانب بعض الأخطاء الإملائية مثل كتابة كلمة عثمانى بالصاد "العصمالية (فريان) أو -إبدال الضاد بالدال مثل: "بعد كلام كذب".

بعض السمات الصرفية -النحوية:

- تعريف المضاف: "والإمبراطور النمساوى" (Menou 13)[13]، "هذه الزمرة المماليك" (Proclamation).

- صيغة المنصوب مكان المرفوع: "إن جميع الناس متساويين" (Proclamation)، "ورد لنا خبرا صحيح" (Menou 9)، "لا يستنى أحدا" (Proclamation).

- صيغة المضارع محذوف النون على غرار الصيغة العامية: "يظلموا تجارها، يفسدوا فى الأقاليم، يتسلطوا فى البلاد" (Proclamation).

- استخدام صيغة الجمع فى مكان المثنى: خلصتها، أعطيتها، منعتها... أرشدتم (Menou 9).

-المبنى للمجهول يأتى فى صيغته العامية: "كل قرية التى تقوم على العسكر الفرنساوى تنحرق بالنار" (Proclamation) "فهذا الامر ينطبع" .(Menou 8)

- على غرار العامية، كثيراً ما يستخدم الضمير أمام الفعل: "قلت لكم أيضا أنا أعذب بالموت القتالين"، "فيا أهالى بر مصر ومصر القاهرة أنى أنا أدعيكم بتفليح" (Menou 6). فى بعض نماذج الكتابات الوسيطة يستخدم الضمير فى صيغته العامية، رأينا ذلك فى مراسلات مراد بك، وذلك على عكس البيانات والأوامر اليومية التى نحن بصدد دراستها؛ مما يؤكد ما أشرنا إليه فى بداية هذا التقديم من أن من خصائص اللغة الوسيطة التنوع والتبديل.

- بالنسبة "لاسم الإشارة" فإن كانت الصيغ التى تظهر بها تنتمى إلى الفصحى (هذا، هذه) إلا أنها لا تتبع قواعد المطابقة من حيث الجنس أو العدد كما يظهر فى الأمثلة التالية: "رأس ذلك المفسدين ترمى فى تلك الساعة"(الجبرتى1) ، "ذلك الأخبار" (الجبرتى 2)؛ أما من حيث موضع اسم الإشارة فهناك بعض الأمثلة القليلة لاسم الإشارة الذى يسبق الاسم: "ويا أهالى مصر فانتبهوا وتذكروا ذى الكلمات" (Menou 15) .

- الشيء نفسه الشيء ينطبق على "اسم الموصول" الذى يظهر غير متبدل ولا يتبع المُحال عليه antécédant فى بعض المواضع: "بأنكما خلصتما ثلاثة فرنساوية الذى تكسرت مركبهم". وأما الملاحظة الثانية بخصوص اسم لموصول هو أنه يستخدم فى بعض المواضع حيث لا ضرورة له: "كل قرية التى تقوم على العسكر الفرنساوى تنحرق، كل قرية التى تطيع للعسكر الفرنساوى الواجب عليها نصب السنجاق الفرنساوي" (Proclamation)، "أناس اللذين هم من الأشقياء والمفسدين" (Menou 15). وغالبا ما يكون هذا الاستخدام ناتج عن تأثر اللغة العربية بالصيغة الفرنسية: « Chaque village qui se révolte contre les soldats français sera brûlé ».

- وأخيراً استخدام النفى بصيغة لا تنتمى إلى الفصحى ولا العامية مثل: "لم كنا نحب انقطاعها" (Kléber)، "لم كانوا معنين"(Rosette).

تلخيصاً للملاحظات حول الاستخدام اللغوى:

- غياب السمات العامية الصرفة: غابت عن النصوص المترجمة إلى العربية من السمات العامية الصرفة، فمثلا لا وجود لحرف الباء الذى يسبق الفعل المضارع ويجعل الفعل يعبر عن الحاضر المتزامن مع زمن الحديث، وكذلك فلا وجود للصيغة العامية لاسم الموصول "إللي"، أو مجموعة أسماء الإشارة العامية .

إذن فهذه النصوص مثلها مثل أى نص ينتمى إلى نموذج "اللغة الوسيطة" تتجنب السمات الواضحة للعامية، وبذلك تظهر النزعة إلى الارتفاع بالمستوى اللغوى، كما سبق أن قلنا؛ فالنموذج الوسيط يتميز بعدم التجانس أو الجمع بين عناصر لغوية من مستويات مختلفة.

- ظهور تركيبات منقولة من الفرنسية كالأمثلة التى ذكرتها من قبل مثل استخدام الجملة الموصولة دون داع إليها. وغالبا ما يمكن أن ننسب ذلك إلى تأثير اللغة الفرنسية والترجمة الحرفية للصيغ والتراكيب الفرنسية، يمكن القول إن أهم ما

يميز هذه النصوص عن النماذج الأخرى من اللغة الوسيطة هو هذا التأثير للترجمة.

نتناول فى المحور الثانى النصوص المزدوجة اللغة، وهى قضية الترجمة أو المترجمين الذين قاموا بصياغة هذه النصوص ونقلها من الفرنسية إلى العربية. وفى هذا المحور حاولت الدراسة تحديد التدريب أو التعليم الذى ناله هؤلاء المترجمون. وبداية يجب توضيح أن هناك نوعين من المترجمين، الأول ممثل فى المترجمين الفرنسيين الذين أتوا مع أعضاء الحملة ورجالها، فى صفوف العلماء والإداريين، ومن ناحية أخرى هناك المترجمون المحليون ومعظمهم من الشوام المقيمين فى مصر. والهدف من رصد سريع للسيرة الذاتية لبعض هؤلاء المترجمين هو تحديد وضع اللغة المستخدمة وفهم تشابه الإنتاج اللغوى لكل من الرافدين المحلى والفرنسى.

فمن المجموعة الثانية أخذت نموذج الأب رفائيل أنطون[14] وهو من أفراد الجالية السورية المقيمة فى مصر. ولد رفائيل أنطون فى القاهرة عام 1759 فى عائلة من الروم الكاثوليك من أصل حلبى. ألمّ بتعليم متوسط فى اللغة العربية، ثم دخل الدير فى الخامسة عشرة من عمره، تعلم اللغة الإيطالية عندما سافر إلى روما فى سلك الرهبنة، وكانت الإيطالية هى اللغة الأجنبية التى أتقنها الأب رفائيل، (فهى اللغة التى استخدمها لمخاطبة بونابرت فى فترة سالفة)، وتعلم الفرنسية بعد الإيطالية. عاد إلى مصر عام 1794 ودخل فى خدمة الإدارة الفرنسية فى ذلك الحين، فنجده عضواً فى المعهد الفرنسى كمترجم، ثم كمترجم أول فى ديوان القاهرة، كما ظهر فى جلسات الديوان الخاصة بشهرى نوفمبر وديسمبر (فى جلسات الديوان)[15]، إلى جانب الخواجة إلياس فخر الذى عمل كترجمان ثانٍ. ويوصف الخورى رفاييل بأنه "رجل موفق مكمل"، والترجمان الثانى بأنه "مشهور بالإتقان والعقل". وإلى جانب دوره كمترجم أول للديوان كان الأب رفائيل مكلف بترجمة البيانات والقرارات، وبالتالى نعلم أن بعض البيانات والأوامر المشتركة هى من صياغته، ومن الجدير بالذكر أن أهمية دور رفائيل زادت فى زمن منو Menou . غادر

رفائيل مصر بعد جلاء القوات الفرنسية مثل آخرين من الذين تعاملوا مع الإدارة الفرنسية. وفى فرنسا قام بالتدريس فى مدرسة اللغات الشرقيةLangues orientales وكان مكلفاً إلى جانب تدريس اللغة الدارجة Arabe vulgaire بترجمة بعض المخطوطات العربية الموجودة فى المكتبة الوطنية[16]. ومن ضمن ما ترجمه فى الفترة التى قضاها فى فرنسا أشعار لافونتين La Fontaine، وكذلك بدأ فى تأليف كتاب لتدريس اللغة العربية لطلاب المدرسة الشرقية ممثل فى قصة سندباد البحرى[17]. ويجدر السؤال هنا حول مفهوم اللغة الدارجة فى ذلك الوقت وهل كان يقصد بهذه التسمية نفس ما نعنيه اليوم عندما نتحدث عن الدارجة أو العامية؟ سوف نعود إلى هذا السؤال بعد قليل، لكن بداية أريد أن أثير بعض التساؤلات التى تطرحها شخصية الأب رفائيل.

السؤال الأول حول رفائيل أنطون كفرد من مجموعة أو طائفة الشوام الذين هاجروا واستقروا فى مصر، والسؤال بالتحديد هنا يدور حول علاقته بالعربية، كيف تعلمها وما هى الأشكال التى كان يستخدمها؟ كيف تعلم العربية فى طفولته؟ وهل كان صغار الشوام يترددون على كتاتيب كأمثاله من المسيحيين الأقباط أم أن كانت لهم كتاتيبهم الخاصة؟ أم أن التعليم كان يتم فى الإطار العائلي؟. من المعروف أن الشوام وفدوا إلى مصر فى فترات مختلفة منذ القرن الثامن عشر وحتى القرن التاسع عشر، وإذا كانت اللغة قد مثلت عنصراً من عناصر الالتصاق والتضامن فى عصر النهضة كما أوضح الباحثون، فكيف كان الحال فى زمن رفائيل أنطون الذى سبق النهضة؟ إن البحث عن إجابة لهذه الأسئلة يقودنا إلى التفكير حول التكوين اللغوى لهذا الرجل الذى أخذناه كنموذج لمترجمين أو ترجمانات هذه المرحلة. وفى النهاية فنحن نحاول فهم استخدام رفائيل للمستوى الوسيط أو المتعدد الطبقات، هل كان ناتجا عن اختيار أم عن قصد؟

يمثل رفائيل أنطون فرداً ضمن مجموعة أوسع تشمل أسامى أخرى مثل يوسف مسابكى وإلياس فخر الذى ذكرته من قبل. الظروف نفسها تجمع بين هؤلاء

الرجال الذين وجدتهم الإدارة الفرنسية أثناء دراستهم للاهوت فى روما ووظفتهم فى خدمة الحملة.

أما السؤال الثانى الذى يطرحه نموذج هذا الرجل فيتعلق بتدريس اللغات الشرقية فى فرنسا وفى مدرسة اللغات الشرقية تحديداً، وكما أشرت من قبل ما الذى كان يعنى بالعربية الدارجة؟

من المعروف أن الترجمة العربية للبيانات والأوامر اليومية الفرنسية كان الهدف منها هو الوصول إلى عامة الناس بحيث "تقترب" هذه الإخباريات "من فهم العامة".

أما الرافد الفرنسى من المترجمين فتكون من أسماء كثيرة وردت ضمن أفراد رجال الحملة ومنهم: فانتور دى بارادى وأدانسون Adanson الذى تلاه كقنصل وترجمان، ثم أستيون سيلف Astion-Sielve والذى كان ينحدر من عائلة من الترجمانات، كما كان من المعتاد فى هذه الفترة حيث كانت تورث المهنة من الأب لأبنه. من المترجمين الذين صاحبوا الحملة يمكن ذكر جوبير تلميذ سيلفستر دى ساسى Sylvestre de Sacy إلى جانب براتشيفيتش Bracevich ولوماكا l'Homaca الذين كانوا أعضاء فى لجنة مترجمى المعهد المصرى والذين قاموا بترجمة نصوص هامة من ضمنها محاكمة كليبر ووثائق أخرى من زمن الحملة.

تناولنا نموذجاً للرافد المحلى يتعين أن نرصد مشوار أحد أهم الترجمانات الفرنسيين وهو فانتور دى بارادى. ترجع أهمية فانتور إلى كونه من أهم مترجمى الحملة إلى جانب أنه يمثل الحالة النموذجية لمهنة الترجمان.

ولد فانتور عام 1739 فى مارسيليا من والدة يونانية، كان والده كما ذكرت ترجماناً عمل فى بعض قنصليات المغرب، وفى الثانية عشرة من عمره أُرسل إلى العاصمة للدراسة فى مدرسة شباب اللغات كما كانت تسمى، تعلم فيها التركية والعربية كما كان متبع فى ذلك الحين. بدأ طريقه كمترجم وسياسى عام 1757 مما

قاده إلى القسطنطينية وصيدا والقاهرة حيث خدم لمدة ثمانى سنوات كترجمان. وهو الذى ترجم نص البيان الأول للجيش الفرنسى المشهور Proclamation والذى قمت برصد بعض سماته.

يثير موضوع المترجمين الفرنسيين أسئلة أخرى إلى جانب الأسئلة التى طرحناها بخصوص المترجمين المحليين، ومن هذا الأسئلة أو التساؤلات:

ما الذى نعرفه عن إلمام هؤلاء المترجمين بالعربية؟ من المعروف أن معظم المترجمين كانوا قد تعلموا الفصحى، والكثير منهم تتلمذ على يد Sylvestre de Sacy وهو من أوائل المستشرقين الفرنسيين وكان de Sacy يشغل فى عام 1795 كرسى تدريس اللغة العربية بشقيها الفصحى والعامية، وإن كان المترجمون فى تعليمهم أو تدريبهم قد ألموا بمبادئ الفصحى فما مدى معرفتهم بالعاميات، وما مدى وعيهم بالفروق بين العاميات المختلفة؟ فالتدريس فى مدرسة اللغات الشرقية كان يهتم بالفصحى دون اللهجات التى كان ينظر إليها بنظرة ازدراء وإهمال، وإن كان من ينوى التوجه نحو بلاد المشرق أو الغرب العربى يحتاج إلى دراسة شىء من العاميات حتى يتمكن من مواصلة الاتصال بالناس. يكتب المستشرق مارسيل[18]: "عندما وصلت إلى الإسكندرية منذ أربعين عاماً، وعلى الرغم من أننى كنت نجحت فى تعلم اللغات الشرقية فى باريس باجتهاد وعلى يد أساتذة أجلاء، إلا إننى شعرت بخيبة أمل إذ إننى كنت أفشل فى التواصل مع الخادمين العرب، فلا أنا أفهمهم ولا هم يفهموننى. على الرغم من أن الشيوخ والعلماء المتبحرين فى العربية الفصحى كانوا يفهموننى، لكنهم كانوا يقروا أننى أتحدث مثل الكتاب [...]، فأسرعت لدراسة "اللهجة الدارجة"Arabe vulgaire وهى الوسيلة الوحيدة التى يمكن التفاهم بها". هكذا كان يعلم المترجمون الفرنسيون أن النصوص كان يجب ترجمتها إلى "اللغة الدارجة" حتى تكون مفهومة من العامة.

فى النهاية يمكن تلخيص ما سبق فى أن هؤلاء المترجمين من القوميتين (الفرنسية، والمحلية) ساهموا فى إثبات اللغة الوسيطة التى أشرنا إليها باستخدامهم لها فى إطار

التعاملات الرسمية والتى تتمتع بالشرعية. لقد استمر هذا الأسلوب متعدد الطبقات شائعاً فى الاستخدام حتى نهاية القرن التاسع عشر عند ظهور حركة النهضة كما أشرنا بخصوص دور عبد الله النديم ورأيه فى اللغة الوسيطة.

تساهم الدراسات حول النصوص الوسيطة فى فهم تطور اللغة العربية بمستوياتها المتعددة، وتكشف لنا كيف تطورت لغة الاتصال فى الوظائف والظروف المختلفة. وأما النصوص التى قمت بتحليلها فى هذا البحث الوجيز فتتميز بكونها منقولة من لغة أخرى، فهى تظهر إلى جانب الخصائص المعروفة للغة الوسيطة بعض السمات التى تعود إلى تأثير اللغة الأصلية المترجم منها إلى العربية كما أشرنا بالنسبة للمستشرقين. من جانب آخر حاولت فى هذا البحث تناول مسألة أصحاب هذه الكتابات من المترجمين بدل الوقوف عند إنتاجهم اللغوى فقط، فتناولت أصولهم وكفاءتهم اللغوية لمحاولة فهم ماهية هذه اللغة الوسيطة وتعدد أنواعها. فاللغة ليست إنتاج مجرد من الظروف المحيطة الاجتماعية والثقافية والتاريخية المحيطة بها بل هى نتاج يتمخض من عوامل متشابكة ومركبة. وختاما أريد الإشارة إلى أهمية البحث اللغوى حول النصوص التاريخية لما فى ذلك فائدة لكل من التخصصين.

الهوامش

(1) Nassir soliman: L'Amir et le Gdénénal, province Girgâ à travers les correspondances de Mûrad bey », dans L'expédition de Bonaparte, vue d'Egypte, *Egypte/Monde arabe* , [p. 71- 98], CEDEJ 1999.

(2) عبد الرحمن الجبرتي، تاريخ مدة الفرنسيس بمصر، تحقيق وترجمة ش. موريه، ليدن 1975، ص7 إلى 10.

(3) Archives historiques du Ministère de la Guerre.[1] وانظر صورة هذا البيان فى ملحق الدراسة.

(4) *Marchands d'étoffes du Fayyoum au IIIe/Ixe siècle d'après leurs archives (actes et lettres)*, par Yusuf Ragib, vol. II, Les Banu 'Abd Al-Mu'min, Le Caire, 1992.

سأورد كنموذج من هذا المستوى اللغوى الجملة الآتية المأخوذة من إحدى الرسائل التى تبادلها أفراد عائلة بنى عبد المؤمن، يكتب أحد أفراد العائلة رسالة إلى أخته قائلاً ص 19:"كتبتى أكرمك الله تذكرى أمر المنزل ومن يدخله فليس تم الا خير اسأل الله أن يجمع بيننا وبينك فى عافية"، "أبو الفضل يقريك السلم كثيرا وعلى ابو هريرة أبقاه الله السلم وليد وحبيب يبلغوك السلم" إلخ

(5) M. Doss, *L'arabe en Egypte. Etude évolutive d'une langue de relation*, Thèse de Doctorat, Paris 3, 1991.

(6) كتاب الدرة المصانة تأليف الأمير أحمد الدمرداشى، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، IFAO القاهرة 1989.

(7) عبد الله النديم، مجلة الأستاذ، "اللغة والإنشاء"، بتاريخ 11 أكتوبر 1892.

(8) الدرة المصانة ص. 51، 48.

(9) نفس المصدر ص 23.

(10) من أشهر الأمثلة لذلك عبد الرحمن الجبرتى.

(11) الصوت الأسنانى هو "صوت أو صفة لصوت ينطق بملامسة أسلة اللسان الأسنان العليا" مثل th فى اللغة الإنجليزية. التعريف من معجم المصطلحات اللغوية إنكليزي-عربى، تأليف رمزى منير بعلبكى، بيروت 1999.

(12) الصوت اللثوى هو "صوت أو صفة لصوت ينطق بملامسة جزء من اللسان طرف اللثة أو باقترابه منه، مثلاً [t] [d]".

(13) جميع البيانات والمنشورات الصادرة من الجنرال مينو مودعة فى أرشيف فانسن تحت رقم : (B^6 121) المستخدمة فى هذا المقال.

(14) لقد تناولت أكثر من دراسة شخصية وحياة رفائيل أنطون منها دراستين قام بهما شارل باشاتلى:
Charles Bachatly, « Un manuscrit autographe de Don Raphaël, membre de l'Institut d'Egypte (1798), pp. 27-35, *Bulletin de l'Institut d'Egypte*, tome XIII, sessions 1930-1931, Le Caire 1931.

« Un membre oriental du premier Institut d'Egypte : Don Raphael (1759-1831), 237-240, *Bulletin de l'Institut d'Egypte*, tome XVII, sessions 1934-1935, Le Caire 1935.

من جهة أخرى تناول جمال الدين الشيال هذه الشخصية المثيرة فى كتابيه حول تاريخ الترجمة: تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية، القاهرة، ص 43، وكذلك فى تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على، ص74إلى 83، القاهرة 1951.

(15) التاريخ المسلسل فى حوادث الزمان ووقايع الديوان (1800-1801)، لإسماعيل الخشاب، حققها د.محمد عفيفى والأستاذ أندريه ريمون، القاهرة 2003.

(16) جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على، القاهرة، 1951 يذكر الشيال ص 76 أن هذه الترجمات "كانت تتجه لإعداد مواد تفيد منها اللجنة التى كانت تعمل لإخراج المؤلف الكبير_وصف مصر" وإن لم يذكر أى عنوان مؤلف من هذه الترجمات.

(17) بشاتلى: المصدر السابق،ص 256.

(18) J.J. Marcel, *Dictionnaire français-arabe des dialectes vulgaires d'Alger, d'Egypte, de Tunis et du Maroc*, Paris, 1869.

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمان الرحيم

من حضرة ايب الجيوش الزنادية

وحاكم خامس اقاليم المصرية جلسار فرياة

الى جميع مشيخ بلاد وبنادر هذا الاقليم

فعلمت ان خصم فيما بينكم بعد كلام كذب

وهوان الوزير ماشاي عرضحالكم عاي

بمصر وهذا السبب اعرضكم عن دفع المال

الكذب عليكم فاعلموا ان الزناوية لا يخافوا

من عساكر المصرلية وعلموا ايضا انكل

من عساكر بمصر هو في يد واحد من عساكر

الشركية تقدر تطردهم لانهم يعرفوا

يحاربوا ويقهروا اعدائهم فالاحسن

لكم ان تكونوا بالطاعة من غير خوف

وانصيروا في امنها اعدائهم

معهم

فرياة

Mil Alam de Dieu

Gouvernement de la Méditerranée

Au Nom de Dieu le Clément et le Miséricordieux

Le Général de Division Général

Commandant de la Province

Aux Chefs et

Villages, Communes

Arrondissement de

Le bruit qui a couru sur le départ

apporté par mes Ordres, que le Général

Bonaparte était revenu en Europe et

son armée, dans le Midi avait suspendu

le payement de ses contributions,

Sachez que les Français ne

cessent point l'armée et qu'ils sont maîtres de

l'Egypte qu'aucune puissance ennemie ne peut la lui

arracher, qu'il saura se battre et vaincre. Le Meilleur

parti que vous ayez à prendre est d'obéir sans crainte et de

ne jamais cesser vos [illegible] envers

Salut

MINISTÈRE DE LA GUERRE
ARCHIVES HISTORIQUES
DÉPÔT DE LA GUERRE

Il y eut un faux bruit répandu parmi vous, que le grand Visir était arrivé en Egypte avec son armée, et que ce ministre avait suspendu le payement de vos contributions, vous devez savoir que les français ne cessent point l'armée et qu'ils sont maîtres de l'Egypte qu'aucune puissance ennemie ne peut la lui arracher, qu'il saura se battre et vaincre. Le Meilleur parti que vous ayez à prendre est d'obéir sans crainte et de ne jamais cesser vos [illegible] envers

Salut

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 29 nivôse an 9 de la République Française, une et indivisible.

Ordre du jour, du 29 nivôse an 9.

MENOU,

GÉNÉRAL EN CHEF,

A tous les Habitans de l'Egypte que Dieu les conserve et les protège

Je vous annonce qu'il nous est parvenu récemment des lettres de la part du Gouvernement de la République Française, et de son premier Consul, l'illustre guerrier BONAPARTE. Elles nous donnent avis que la paix a été conclue définitivement entre la République Française et les royaumes d'Alger et de Tunis. Que Dieu en soit loué!

Nous vous prévenons, ô habitans de l'Egypte, que désormais tous ceux d'entre vous, ou des habitans des deux pays susdits, qui voudront voyager pour négocier et commercer réciproquement, en ont la permission. Ils seront protégés et assistés dans leur commerce, soit pendant leur voyage, soit pendant leur séjour dans les pays susdénommés. C'est au nom de la République Française, qui ne manque jamais de parole, que je leur promets sûreté et protection.

Habitans de l'Egypte! Dieu favorise toutes les entreprises des Français et du premier Consul BONAPARTE, qui ne veulent que justice, la tranquillité, la sécurité et le bonheur des peuples, tels sont les principes qui dirigent le Gouvernement français, et d'après lesquels il m'ordonne d'administrer l'Egypte dont il m'a confié le commandement. Je ne cesserai pas un seul instant d'exécuter ses ordres, et de faire tout ce qui dépendra de moi pour vous rendre heureux.

Signé MENOU.

La présente proclamation sera imprimée à deux colonnes, l'une française et l'autre arabe, publiée, affichée et envoyée dans toutes les parties de l'Egypte.

Les généraux commandant les provinces, et tous autres chefs militaires ou civils, ainsi que le directeur général et comptable, chargés, chacun en ce qui le concerne, de faire répandre dans toute l'Egypte la présente proclamation.

Signé MENOU.

Le Général de Division, Chef de l'Etat-major général de l'Armée,

Signé LAGRANGE.

Pour copie conforme au registre d'ordre:

L'Adjudant général, Sous-Chef de l'Etat-major général.

Rémi

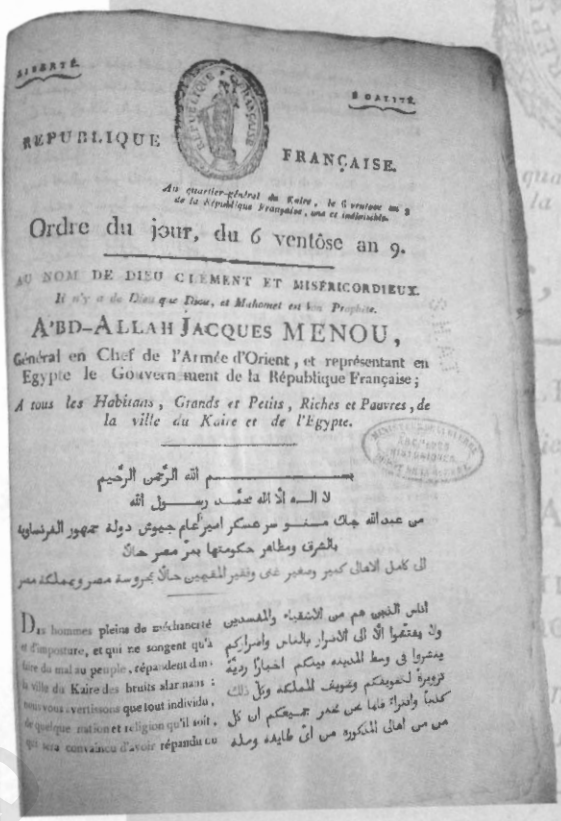

LIBERTÉ. ÉGALITÉ.

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 6 ventôse an 8 de la République française, une et indivisible.

Ordre du jour, du 6 ventôse an 9.

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

A'BD-ALLAH JACQUES MENOU,

Général en Chef de l'Armée d'Orient, et représentant en Egypte le Gouvernement de la République Française;

A tous les Habitans, Grands et Petits, Riches et Pauvres, de la ville du Kaire et de l'Egypte.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله محمد رسول الله

من عبد الله جاك مينو سر عسكر امير العام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا

الى كامل الاهالى كبير وصغير غنى وفقير المقيمين حالا بحروسة مصر وعموم مملكة مصر

Des hommes pleins de méchanceté et d'imposture, et qui ne songent qu'à faire du mal au peuple, répandent dans la ville du Kaire des bruits alarmans : nous vous avertissons que tout individu, de quelque nation et religion qu'il soit, qui sera convaincu d'avoir répandu ces bruits alarmans, sera arrêté sur-le-champ, et aura la tête tranchée au milieu d'une des places du Kaire.

Habitans du Kaire et de l'Égypte, restez tranquilles dans vos maisons; vaquez à vos affaires, et rappelez-vous de mes paroles. Le gouvernement français veille à votre sécurité, comptez sur sa protection; mais il a l'œil sans cesse ouvert sur tous ceux qui voudraient exciter des mouvemens ou la rébellion. Salut à qui marche dans la bonne voie.

Au Kaire, le 6 ventôse an 9, répondant au 11 de chouval an 1215.

Signé MENOU.

اناس الذين هم من الاشقياء والمفسدين ولا يهتمون الا الى الاضرار بالناس واضرارهم يمشروا فى وسط المدينه بينكم اخبارًا رديئة قرويرة لخويفكم وتضييف للمملكة وكل ذلك كذبًا واضرارًا فاما عن خمر جميعكم ان كل من من اهالى المذكوره من اى طايفه وملة كان الذى يقبض عليه الانضار او النفر من نفسه يبينكم ذلك الاشهار الكذوبة فحينًا لكم وسلامًا بالناس فى الحال ذلك الرجل يمسك ويترمى رقبده بوسط واحدة طرف مصر

ويا اهالى مصر فاتهموا وتدبروا فى الكلمات وكونوا مصريحين العمال ومتزهين العمال انما الدولة للجمهور الفرساوى حاضر لحمايتكم وحمايتكم ولكن بشرط كذلك الى تعديتم العصاوة والعصاة والسلام على من اتبع الصدق والاستقامة

محرر فى « شهرنا وتعوز سنة » الموافق فى « شهر شوال سنة سنة

خالص الفواد

عبد الله جاك مينو

On continuera à l'avenir à retenir aux invalides ouvriers travaillant aux ateliers, ou attachés à quelque service comme employés, les deux tiers de leur solde. Cette retenue devra toujours tourner au profit et soulagement des invalides que leurs blessures ou d'autres infirmités quelconques forcent de rester au corps. Mais aussi, sous aucun prétexte, on ne pourra exercer aucune retenue sur l'indemnité que ces mêmes invalides ouvriers ou employés reçoivent pour la viande ou pour le riz.

Les conseils d'administration des invalides sont particulièrement chargés de l'exécution de ces mesures.

Le Général de Division, Chef de l'Etat-major général de l'Armée,

Signé LAGRANGE.

Pour copie conforme au registre d'ordre :

L'Adjudant commandant, Sous-Chef de l'Etat-major général,

Reinier

SUPPLÉMENT
à l'Ordre du jour du 23 pluviôse an 9.

MENOU, GÉNÉRAL EN CHEF, ordonne l'insertion à l'ordre du jour de la lettre qu'il a écrite au grand Divan du Kaire.

IL N'Y A DE BIEN CLAIREMENT ET MANIFESTEMENT,

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

بسم الله الرحمن الرحيم
لا اله الا الله محمد رسول الله *

A'bd-Allah Jacques MENOU, Général en Chef de l'Armée d'Orient,

من عبد الله جاك مسنو سركر لشر عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكيتها بمملكة مصر حالاً

Aux Cheykhs et Ulemas composant le grand Divan du Kaire; que Dieu leur accorde toujours les lumières et la capacité nécessaires pour remplir leurs fonctions.

الى كافة المشايخ والعلما الكرام في مجلس الديوان المنصور بمصر انعم الله عليهم دايما بالفضايل والافكار بالفرنساوية الواصله لي اجره وبرايهم اسجن

Cheykhs et Ulemas, ce que Dieu veut arrive nécessairement ; c'est lui qui sait tout, qui dirige tout. Il a voulu que les Français fussent victorieux. Les Français sont victorieux partout où ils portent leurs armes. Il a voulu que le célèbre BONAPARTE, aujourd'hui chef du Gouvernement de la République française, réussît dans toutes ses entreprises. BONAPARTE n'a qu'à paraître, tous les ennemis se dirigent selon ses vues.

والها المشايخ والعلما الكرام ان كلما اراد الله لابد يصيروهو هو الذي يدبرا ويهدي كل شي والما اراد ان الفرنساوية يكونوا دايما منصورين فالفرنساوية مقدما اعدايهم ابدما وحضروهم واراد ان الفضل يوناپارته الشهير الذي هو اليوم رئيس تحس ايالة دولة جمهور الفرنساوية يفوق في كل ما اجاد فيوناپارته في حال مظاهرانه يعتنوا ويكمل تدبيراته كيف ما اراد ذاك بالوجود

L'empereur d'Allemagne, séduit par les perfides insinuations des Anglais, se refusait à faire la paix que la République française, quoique victorieuse, lui offrait par principe de modération. Les armées françaises ont marché contre lui : vaincu de toutes parts, il a été forcé à accepter les conditions que BONAPARTE lui proposait. Un armistice a été signé, et

ولامبراطور النمسا معتوي من اشرار الغذرة وفساد الانكليزي ما كان يرضي بالصلح المعروض له من مرده دولة الجمهور الفرنساوي وليوفي كانت منصورة والعساكر الفرنساوية توجهت ضده فصار مغلوب وبها في كل جانب وقابل بالغصب عنه كل الشروط المعروضين

acuellement on travaille à une paix définitive.

Des vaisseaux de guerre français, entrés dans le port d'Alexandrie le 14 de ce mois, ont fait connaître ces heureuses nouvelles. Ils étaient chargés de soldats qu'envoie BONAPARTE, et d'une grande quantité de munitions de guerre. *Dieu* qui veut bien abaisser ses regards sur les Français, et les protéger, a permis que ces vaisseaux ne missent que dix jours à venir de France à Alexandrie.

وبناة على ذلك امتما المباركة بولايته المذكورة فهما يشتغلان بعض وتكميل المصالحة النهايه

وحراكب حرب فرنساويه وردة بتغسر بتاريخه في اربعة عشر شهرنا بلوبوز وجابوا لنا تلك الاخبار الخير فالمراكب المذكورة جايحونه من عسكر ومن مقدار كبير من ذخاير حربيه والكل مبعوث من بوناپارته الذي كوم الفرنساويه دعواطف الله بنظره وحمايته اجاز ان المراكب المذكورة في مدة عشرة ايام من بلاد فرنسا الي الكبيره فاذا اراد الله شيا هيا اسبابه

Je vous ai fait connaître ces heureux événements, cheykhs et ulemas, afin que vous vous réjouissiez avec nous, et que vous soyez bien convaincus que BONAPARTE ne perdra jamais de vue l'Egypte, dont il aime et protége les habitans, ainsi qu'il vous en a souvent donné des preuves. Il me recommande toujours de travailler au bonheur du pays dont le gouvernement m'est confié. Je ne cesserai pas un seul instant de faire tout ce qui sera nécessaire pour exécuter ses ordres. Je vous souhaite, cheykhs et ulemas, de longs jours et une multitude de prospérités. Que l'esprit de Dieu soit toujours avec vous!

ويا مشايخ ويا علمايه الكرام فاعلمناكم بتلك الاخبار الخير لاجل تشهجوا بها معنا ويكمل ما تكونوا بيوناپارته هو دايما يحبكم مزايا كثيرا حين اقامته بينكم ولذلك يامركم بالخير وبامور منه لانفيد خير البلاد الذي اتعينت حسن تدبيره فانا في كل حين مجتهد لكل ما لزمه ويجزيكم لاجزاء اوامره الله تعالى بالمشايخ وعلمايه الكرام ينعم عليكم دايما طويلا وكثرة بركاته وبهم دايما عليكم السلام والرضاء *

Au Kaire, le 19 pluviôse an 9, correspondant au 25 du mois de ramadhan de l'an 1215 de l'Hégire.

حرر في ١٩ شهر بلوبوز سنة ٩ للوافق ٢٥ شهر رمضان سنه ١٢١٥

خالص الفواد

Signé MENOU.

عبد الله جاك منسو *

Le Général de Division, Chef de l'Etat-major général de l'Armée,

Signé LAGRANGE.

Pour copie conforme au registre d'ordre :

L'Adjudant commandant, Sous-Chef de l'Etat-major général,

Rémes